الظواهر اللغوية في كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري الكوفي(328هـ) وموقفه منها (المشترك اللفظي أنموذجا).

The linguistic phenomena in the book of al-Zahir in the meaning of the words of the people by Abu Baker lin al-Anbari al-Kufi,who died(al-Kufi,who died(A-H 328),and his stance on the verbal joint as a madol

الاستاذ المساعد الدكتور : حسين كاظم حسين السعدي
قسم الشريعة- كلية العلوم الإسلامية جامعة ديالى- جمهورية العراق
البريد الالكتروني: Dr.hussainkadum@uodiyla.edu.iq

المخلص

ناقش هذا البحث اليسير بعض الظواهر اللغوية في كتاب "الزاهر في معاني كلمات الناس" لأبي بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنبا ري الكوفي(328ه),وهذه الظواهر التي شغلت اللغويين القدامى كثيرا, ومنها ظاهرة المشترك اللفظي, والتي تعني أن يكون للفظ الواحد عدة معاني, فالكثير من اللغويين قد أجاز وقوعها في اللغة, وبعضهم أنكرها, وممن أجازها أبو بكر ابن الأنباري, ولقد ذكر لنا أبو بكر في كتابه الزاهر ألفاظا كثيرة من ظاهرة المشترك اللفظي, واحتج بجوازها بأدلة كثيرة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف,ومن كلام العرب شعرا ونثرا,إذ تدل دلالة قاطعة على صحة جوازه واستعماله, وهي من الظواهر التي اشتهرت في اللغة, والتي تدل على ثراء اللغة وقوتها.

Abstract

This easy sea discussed some linguistic phenomena in the book of Al-Zahir On the meanings of Peoples Words by Abu BakrMudammadlbn Al-Qasim,known as lin Al-Anbari Al-Kufi Theseare the phenomena that occupied the anciets a lot,

including the common verbal phenomenon, which means that one word has several meanings,many linguistshave authorized its ocourrence in the lingugae, and some have denied it,And among those authorized by Abu BakrIbn Al-Anbari, and he mentioned to us in his book Al-Zahir many words of this common verbal phenomenon,I protested its permissibility in Holy Quran and the Prophets hadith,and from the words Arabs in poetry and prose, It in dicates conclusive evidence of the validity of its permissibility and its use,and it is one of the phenomena that are well known in the language, which indicates the richness and power the language

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين, أما بعد:فكتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري الكوفي المتوفي (328ه) فقد عني مؤلف هذا الكتاب برصد وتدوين الجمل والأقوال والأمثال التي اشتهرت على ألسنة الناس وكثر استعمالها في كلامهم, وعني كذلك ببيان اشتقاقها وببيان ما أصابها من لحن الذي وقع في كلام العوام, وانحرفت عن مستوى الفصيح وبيان دلالاتها في سياق كلامهم محتجا بذلك لتأييد رأيه بما حفظته ذاكرته من شواهد القرآن الكريم وقراءاته القرآنية صحيحة أو الشاذة, ومن شواهد الحديث النبوي الشريف ومن كلام العرب الفصحاء التي يحتج بكلامهم في اللغة, وفي أثناء هذا البيان والشرح أشار أبو بكر ابن الأنباري الى مجموعة من الظواهر اللغوية الدلالية المشهورة بين اللغويين كظاهرة المشترك اللفظي,والتي كان لابن الأنباري موقف منها, فقد ناقشنا ما ذكره من دلالات وأفصحنا عن موقفه منها,وأفصحنا عن موقفنا منها بما توافر لدنيا من أقوال للغويين .

إشكالية البحث:تكمن إشكاليته في أن هذه الظاهرة قد اختلف اللغويون القدامى في جواز وقوعها في كلام العرب, فذهب الكثير منهم الى جوازها,وعدوا هذه الظاهرة من ميزات اللغة العربية وثراها وغناها في أفانين الكلام, وبعض اللغويين أنكروا وقوعها في اللغة الواحدة, وعدوها إلباسًا وتعمية على السامع, لأنَّ اللغة مبنية على البيان والوضوح, فكيف يكون للفظ الواحد عدة معاني؟, وكيف يقع للفظ الواحد أن يحتمل المعاني كلها في سياق واحد؟, وهذا هو الإشكال في الظاهرة.

المنهج: كان منهجي في البحث أن أذكر ما قاله أبو بكر ابن الأنباري من أقوال مشهورة وما عقب على هذا القول من شرح وبيان له, وما ذكر للفظ المشهور فيه من دلالات, وما احتج به من لتأييد رأيه من كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله وسلم, وكلام العرب الفصحاء, وأناقش هذه الأدلة وما قاله اللغويون السابقين واللاحقين له في بيان صحة استعمالها أو رفضها, وأستأنست أيضا بالوقوف على آراء الباحثين المعاصرين, فكان لهم نصيب في هذا الخلاف اللغوي, وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في ظاهرة المشترك اللفظيأنموذجا,وأردفت البحث بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ومشفوعة بقائمة للمصادر والمراجع التي رجعت إليها في إتمام هذا البحث اليسير, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المسألة:(ظاهرة المشترك اللفظي).

ذكر ابن الأنباري في كتابه الزاهر طائفة كثيرة من الألفاظ التي عُدِّتْ بما عُرِفَ في اللغة بالمشترك اللفظي, وهو أن يكون للفظ الواحد عدة معان[1], ومن ذلك ما جاء تعليقه في قول الرجل للرجل:(يا مولاي),قال أبو بكر:(معناه يا وَلِيِّي والمولى ينقسم على ثمانية أقسام[2]:يكون المولى:المُعْتِق, ويكون المولى: المُعتَق ويكون المولى:

---

[1]) ينظر:دراسات في فقه اللغة: د. صبحي إبراهيم الصالح (1407ه),الناشر: دار العلم للملايين, الطبعة الأولى 1379هـ - 1960م,:302 .

[2]) ينظر: الوجوه والنظائرفي القرآن الكريم: أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري(395ه),تحقيق: أحمد السيد, دار الكتب العلمية بيروت, الطبعة الأولى, 2010م.:313.

الولي قال الله عز وجل:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}[1] معناه:لا ولي لهم[2], ومن ذلك قول النبي:(أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ)[3]، معناه: بغير إذن وليّها[4], قال الشاعر:[5]

كانوا مواليَ حقٍّ يطلبون به ... فأدركوه وما مَلُّوا وما لَغبوا

أراد: كانوا أولياء حق, وقال العجاج[6]:

فالحمدُ للهِ الذي أَعْطَى الحَبَرْ...مواليَ الحقِّ إنِ المولى شَكَرْ

وقال الأخطل لبني أمية[7]:

أعطاكم الله جَدّاً تُنْصَرونِ به ... لا جَدَّ إلا صغيرٌ بَعْدُ محتقرُ

لم يأشَروا فيه إذ كانوا مواليَهُ ... ولو يكون لقومٍ غيرهم أَشِروا

ويكون المولى:ابن العم؛ كما قال "عز وجل":{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا}[1] معناه: لا يغني ابن عم عن ابن عمه[2]؛ والموالي: بنو العم, أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي:

---

[1]) سورة محمد الآية:11.

[2]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه:إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (311هـ)المحقق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب بيروت, الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م,:8/5, وقيل معناه لا ناصر, وهو ما لم يذكره ابن الأنباري, قال الطبري:(وَبِأَنَّ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ لَا وَلِيَ لَهُمْ، وَلَا نَاصِرَ),جامع البيان في تأويل آي القرآن:محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري(310هـ), تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر, الرياض, الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م,:197/21.

[3]) السنن الكبرى البيهقي:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي(458هـ), المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي, دار الخلفاء للكتاب الإسلامي, الكويت,(د.ت).:(13600).

[4]) قال الطيبي:(أي تزوجت بغير إذن متولي أمر تزويجها من قريب أو غيره), شرح مشكاة المصابيح:شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ),المحقق:الدكتور عبد الحميد هنداوي, مكتبة نزار مصطفى الباز,مكة المكرمة, الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م,:143/3.

[5]) للأخطل في ديوانه:اعتنى به:عبد الرحمن المصطاوي, دار المعرفة, بيروت الطبعة الثالثة,1429هـ-2008م,:21.

[6]) ديوانه:شرح الأصمعي, تحقيق:الدكتور عزة حسن, بيروت,1971م,:4.

[7]) ديوانه:92.

مهلاً بني عَمِّنا مهلاً موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

...ويروى: لا تجمعوا أن تهينونا, والشعر للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يخاطب بني أمية[3] ويكون المولى: الأَولى, قال الله عز وجل:{النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ}[4] معناه: هي أولى بكم, أنشدنا أبو العباس للبيد[5]:

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحسَبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُها وَأَمامُهَا

معناه: أولى بالمخافة خلفها وأمامها[6], ويكون المولى: الحليف قال الشاعر[7]:

---

[1]) سورة الدخان من الآية:41,ومنه قوله تعالى:({ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}, سورة الأحزاب الآية:5, وينظر: الوجوه والنظائر للعسكري:311.

[2]) قال أبو عبيدة:(المولى هاهنا في موضع الموالي،أي: بنى العم),مجاز القرآن:أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (209هـ), المحقق: محمد فواد سزگين,مكتبةالخانجى, القاهرة, الطبعة الأولى, 1381هـ:66/1, وهو قول الفراء, قال الأزهري:(قَالَ الْفراء:هم وَرثة الرَّجل وَبَنُو عَمِّه, قَالَ:والوَليّوالمَوْلى،وَاحِد فِي كَلَام الْعَرَب),تهذيب اللغة:محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور(370هـ) المحقق: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي, بيروت, الطبعة الأولى، 2001م:مادة :(ولي) ,وهو قول أبي عبيد ينظر:غريب الحديث :المحقق:الدكتورمحمد عبد المعيد خان, مطبعة دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد الدكن, الطبعة الأولى، 1384هـ - 1964م:142/3 وقال الطبري:(يَقُولُ:لَا يَدْفَعُ ابْنُ عَمِّ عَنِ ابْنِ عَمِّ وَلَا صَاحِبٌ عَنْ صَاحِبِهِ شَيْئًا مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ), جامع البيان في تأويل آي القرآن:52/21.

[3]) ديوان الحماسة:أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (421هـ)المحقق:غريد الشيخ, دار الكتب العلمية، بيروتالطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م:75/1, وهو ما أشار اليه التبريزي, إذ قال:(مهلا الخ كَرَّرَه للتوكيد أي رفقا بِنَا يَا بني عمنَا قيل يُرِيد التهكم بهم وَيجوز أَن يكون قد رَآهُمْ ابتدأوا فِي أَمر لم يُؤمن مَعَه تفاقم الشقاق فاسترفقهم لذَلِك وَذكر الدّفن والنبش اسْتِعَارَة فِي الْإِظْهَار والكتمان يَقُول ارفقوا بِنَا يَا بني عمنَا وَذَوي رحمنا وَلَا تكشفوا مَا هُوَ مدفون بَيْننَا) شرح ديوان الحماسة:75/1.

[4]) سورة الحديد من الآية:15.

[5]) ديوانه:311.

[6]) ينظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات:أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري(328هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار المعارف, القاهرة, الطبعة الخامسة,(د.ت),:566.

[7]) النابغة الجعدي, شعره: المكتب الاسلامي, دمشق, 1964م:178.

مَواليَ حِلْفٍ لا مواليَ قَرابةٍ ... ولكنَّ قطيناً يَأْخُذُونَ الأَتاويا

ويكون المولى: الجار, قال الكلابي، وجاور بني كليب فحمد جوارهم, فقال[1]:

جَزَى اللهُ خَيراً والجَزاءُ بكفّهِ...كُلَيْبَ بنَ يربوعٍ وزادَهُمُ حَمْدَا

هُمُ خلطُونَا بِالنَّفوْسِ وأَلجَمُوا...إِلى نَصْرِ مَوْلَاهُم مُسَوَّمَةً جُرْدَا

ويكون المولى: الصِّهْر)[2],ولهذا اللفظ معان أخر, فذكر أبو عبيد أيضا أنَّ ابن العم هو الأكثر المراد في السياق على رأي جمهور العلماء,إذ قال:(قَوْله:"غِنى مولَايَ", الْمولى عِنْد كثير من النَّاس هُوَ:ابْن العّم خاصّة وَلَيْسَ هُوَ هَكَذَا, وَلكنه الوليّ فَكل وليّ للْإِنْسَان هُوَ مَوْلَاهُ مثل الْأَب وَالْأَخ وَابْن الْأَخ والعَم وَابْن الْعم وَمَا وَرَاء ذَلِك من الْعصبَة كلّهم...وَمِمَّا يبين لَك أنّ الْمولى كلّ وَلِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام:"أيّما امْرَأَة نكحت بِغَيْر أَمر مَوْلَاهَا فنكاحها بَاطِل",أَرَادَ بالمولى الْوَلِيّ وقَالَ اللَّه عز وَجل:{يَوْمَ لاَ يُغْنِيْ مَوْلَى عَنْ مَّوْلَى شَيْئاً}, فنراه إِنَّمَا عني ابْن الْعم خَاصَّة دون سَائِر أهل بَيته, وَقد يُقَال للحليف أَيْضا:مولى)[3],قَالَ أَبُو الهَيثم: المَوْلى على سِتّة أوْجه: الْمولى ابنُ العَمّ والعمُّ والأخُ والابْنُ، والعَصَبات كلهم, والمَوْلَى:النَّاصِر،والمَوْلَى:الَّذِي يَلِي عَلَيْك أَمْرَك)[4],وهاهنا أشار أبو الهيثم إلى أمر مهم هو أنَّ هو الألفاظ قد يجمعها معنى واحد تدور حوله الدلالة, وهذا المعنى المولى كل ما يليك, وهو أن يشير إلى أنَّ لتلك الألفاظ معنى يجمعها, وأنَّهُ لا تعدد في المعنى للفظ الواحد, وذكر ابن الأثير للفظ معان أخر ولكل لفظ دلالته في السياق, وقد يحمل في بعض النصوص على أكثر هذه المعاني فقال :(وَهُوَ اسْمٌ يقَع عَلَى جَماعةٍ كَثِيرَة، فَهُوَ الرَّبُّ، والمَالكُ، والسَّيِّد، والمُنْعِم والمُعْتِقُ والنَّاصر والمُحِبّ والتَّابِع والجارُ وابنُ العَمّ والحَلِيفُ والعَقيد والصِّهْر والعبْد والمُعْتَقُ والمُنْعَم عَلَيه, وأكْثرها قَدْ جَاءَتْ فِي الْحَدِيثِ،فَيُضاف كُلّ

---

[1]) لمربع بن وعوعة في الأضداد لابن الأنباري:أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ(328هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى,2006م/ 1427هـ: 49.

[2]) الزاهر في معاني كلمات الناس:أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ(328هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى,2006م/ 1427هـ:1/124-126, وينظر هذه تفاصيل المعاني: ديوان العرب: باب مفعلة وتهذيب اللغة: مادة:(ولي).

[3]) غريب الحديث:3/141-142.

[4]) تهذيب اللغة: مادة:(ولي).

واحِدٍ إِلَى مَا يَقْتَضيه الحديثُ الوَارِدُ فِيهِ,وكُلُّ مَن وَلِيَ أَمْراً أَوْ قَامَ بِهِ فَهُو مَوْلاهُ وَوَلِيُّه...وَمِنْهُ الْحَدِيثُ:"مَن كُنْتُ مَوْلاه فَعَلِيٌّ مَوْلاه"[1], يُحْمَل عَلَى أَكْثر الأَسْمَاء المذْكور)[2],وتفرد ابن الأنباري بذكر الصهر, وهذا مما يدل على تميزه, وتابعه ابن الأثير.

ومن ذلك ما جاء في بيان معاني الصرف والعدل في (قولهم: لا قَبِلَ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً), قال أبو بكر:(في الصرف والعدل سبعة أقوال: يُروى عن النبي أنه قال: الصرف: التوبة، والعدل: الفِدية[3], وبهذا قال مكحول، وهو مذهب الأصمعي[4],وقال يونس بن حبيب:الصرف:الاكتساب، والعدل: الفدية, وقال أبو عبيدة: الصرف :الحيلة, وقال قوم: الصرف: الفريضة، والعدل:التطوع, وقال الحسن: العدل :الفريضة، والصرف: النافلة[5], وقال قتادة في قول الله عز وجل:{وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ}[6],قال: لو جاءت بكل شيء لم يقبل منها, وقال

---

[1]) جامع معمر بن راشد:معمر بن أبي عمرو راشد الأزديأبو عروة البصري (153ه)المحقق:حبيب الرحمن الأعظمي,المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت, الطبعة الثانية، 1403 هـ,:(20388),والمصنف في الأحاديث والآثار:أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (235ه),المحقق: كمال يوسف الحوت, مكتبة الرشد,الرياض, الطبعة الأولى 1409م,:(32072).

[2]) النهاية في غريب الحديث والأثر:مجدالدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير (606ه)تحقيق: طاهر أحمد الزاوى, ومحمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية, بيروت, 1399هـ - 1979م,:229/5.

[3]) مساوئ الأخلاق:(409).

[4]) ينظر:الغريبين:أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي(401 ه),تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي,مكتبة نزار مصطفى الباز, المملكة العربية السعودية, مكةالمكرمة,الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م,:1073/4, وغريب الحديث لابن الجوزي:جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597ه),المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي, دار الكتب العلمية بيروت,الطبعة الأولى، 1405هـ – 1985م,:586/1.

[5]) ينظر: النهاية:24/3.

[6]) سورة البقرة من الآية:48.

قوم: العدل:المثل، واحتجوا بقوله تعالى:{أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا}[1], فمعناه: أو مثل ذلك صياماً)[2].

وقد أشار من قبل أبو عبيد الى بعض هذه المعاني, فقال:(قَالَ: الصّرْف التَّوْبَة وَالْعدْل الْفِدْيَة)[3],وهو ما أشار كثير من المحدثين تبعا لابن الأنباري, فقال ابن الجوزي:(فِيهِ ثَلَاثَة أَقْوَال:أَحدهَا: أَنَّ الصّرْف: التَّوْبَة، وَالْعدْل: الْفِدْيَة ، ذكره ابْن الْأَنْبَارِي عَن النَّبِي ﷺ، وَبِه قَالَ مَكْحُول والأصمعي وَأَبُو عبيد, وَالثَّانِي: أَنَّ الصّرْف :النَّافِلَة، وَالْعدْل :الْفَرِيضَة قَالَه الْحسن، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: الْعدْل عِنْد الْعَرَب فِي الْجَاهِلِيَّة:الدِّيَة وَالصرْف زِيَادَة على الدِّيَة،وَهُوَ فِي الْإِسْلَام الْفَرِيضَة والتطوع, وَالثَّالِث: الصّرْف:الِاكْتِسَاب وَالْعدْل: الْفِدْيَة, قَالَه يُونُس)[4],وقال النووي:(قَالَ الْقَاضِي قَالَ الْمَازِرِيُّ :اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِهِمَا فَقِيلَ:الصَّرْفُ :الْفَرِيضَةُ ,وَالْعَدْلُ :النَّافِلَةُ وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:الصَّرْفُ: النَّافِلَةُ وَالْعَدْلُ: الْفَرِيضَةُ عَكْسَ قَوْلِ الْجُمْهُورِ...قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ الْمَعْنَى لَا تُقْبَلُ فَرِيضَتُهُ وَلَا نَافِلَتُهُ قَبُولَ رِضًا وَإِنْ قُبِلَتْ قَبُولَ جَزَاءٍ وَقِيلَ يَكُونُ الْقَبُولُ هُنَا بِمَعْنَى تَكْفِيرِ الذَّنْبِ بِهِمَا قَالَ وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى الْفِدْيَةِ هُنَا أَنَّهُ لَا يَجِدُ فِي القيمة فِدَاءٌ يَفْتَدِي بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ بِأَنْ يَفْدِيَهُ مِنَ النَّارِ بِيَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ)[5], وأضاف إليه ابن حجر معان أخرى غير ما تقدم

---

[1]) سورة المائدة من الآية:95.

[2]) الزاهر: 146/1-147.

[3]) غريب الحديث:167/3.

[4]) كشف المشكل على الصحيحين:جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ),المحقق: علي حسين البواب دار الوطن , الرياض,(د.ت),:195/1.

[5]) شرح صحيح مسلم:شرح صحيح مسلم:أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (676هـ), دار دار إحياء التراث العربي, بيروت الطبعة الثانية، 1392هـ,:141/9, وينظر: والمعلم بفوائد مسلم:أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي(536هـ) المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر, الدار التونسية للنشر,المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر الطبعة الثانية 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م,:118/2, وإكمال المعلم:عياض بن موسى بن عياض بن عمرون

:(وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مِثْلُهُ لَكِنْ قَالَ الْعَدْلُ الْحِيلَةُ, وَقِيلَ الْمِثْلُ, وَقِيلَ: الصَّرْفُ الدِّيَةُ, وَالْعَدْلُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا, وَقِيلَ: بِالْعَكْسِ, وَحَكَى صَاحِبُ الْمُحْكَمِ الصَّرْفُ الْوَزْنُ,وَالْعَدْلُ الْكَيْلُ,وَقِيلَ:الصَّرْفُ الْقِيمَةُ وَالْعَدْلُ الِاسْتِقَامَةُ وَقِيلَ:الصَّرْفُ الدِّيَةُ وَالْعَدْلُ الْبَدِيلُ,وَقِيلَ :الصَّرْفُ الشَّفَاعَةُ وَالْعَدْلُ الْفِدْيَةُ لِأَنَّهَا تُعَادِلُ الدِّيَةَ وَبِهَذَا الْأَخِيرِ جَزَمَ الْبَيْضَاوِيُّ وَقِيلَ الصَّرْفُ الرِّشْوَةُ وَالْعَدْلُ الْكَفِيلُ قَالَهُ أَبَانُ بْنُ ثَعْلَبٍ,وَأَنْشَدَ لَا نَقْبَلُ الصَّرْفَ وَهَاتُوا عَدْلًا فَحَصَلْنَا عَلَى أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ أَقْوَالٍ, وَقَدْ وَقَعَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ فِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلِي قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَدْلٌ فِدَاءٌ وَهَذَا مُوَافِقٌ لِتَفْسِيرِ الْأَصْمَعِيِّ)[1],قال ابن بطال:(قال أبو عبيد: وفى القرآن ما يصدق هذا التفسير وهو قوله:(وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا)[2], وأما الصرف فلا أدرى قوله تعالى:(فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلاَ نَصْرًا)[3] من هذا أم لا؟ وبعض الناس يحمله على هذا، ويقال:إنَّ الصرف النافلة، والعدل الفريضة, قال أبو عبيد:

اليحصبي السبتي أبو الفضل(544هـ), المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل, دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر,الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م,:4/487.

[1]) فتح الباري:الإمام الحافظ حجر العسقلانيّ(852هـ),رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه:محمد فؤاد عبد الباقي,دارالمعرفة,بيروت 1379هـ:4/86,وينظر:دليل الفالحين:محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم الصديقي(1057هـ),اعتنى بها: خليل مأمون شيحا, دار المعرفة للطباعة،بيروت,الطبعة الرابعة 1425هـ-2004م,:8/613,وشرح مسند الشافعي: عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم أبو القاسم الرافعيّ القزوينيّ الشافعيّ(623هـ)تحقيق: وائل محمد بكر زهران, دار النوادر, دمشق, الطبعة الثانية,1432هـ/2011م,:3/252,والتوضيح شرح الجامع الصحيح: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصريّ(804هـ)المحقق:دار الفلاح للبحث العلمي, ودار النوادر دمشق, الطبعة الأولى, 1429هـ/ 2008م,:12/513,والكواكب الدراري شرح صحيح البخاري:الإماممحمد بن يوسف بن علي ابن سعيد شمس الدين الكرمانيّ(786هـ),دار إحياء التراث العربي بيروت, الطبعة الثانية 1401هـ/ 1981م,:9/63,والكوثر الجاري :أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانيّ الحنفيّ(893 هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية,دار إحياء التراث العربي بيروت, الطبعة الأولى 1429هـ/ 2008م,:4/234, واللامع الصبيح:شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الدائم النعيميّ (831 هـ),تحقيق: لجنة مختصة من المحققين دار النوادر, دمشق, الطبعة الأولى 1433هـ/ 2012م, :6/325.

[2]) سورة الأنعام من الآية:70.

[3]) سورة الفرقان من الآية:19.

والتفسير الأول أشبه بالمعنى, وقال أبو علي البغدادي: الصرف: الحيلة، والصرف :الاكتساب، والعدل :الفدية، والعدل:الدية صحيح في الاشتقاقفأما من قال :الصرف:الفريضة، والعدل النافلة، والصرف الدية، والعدل الزيادة على الدية؛ فغير صحيح في الاشتقاق, وقال الطبري:الصرف مصدر من قولك:صرفت نفسي عن الشيء أصرفها صرفًا, وإنما عنى به في هذا الموضع صرف راكب الذنب, وهو المحدث في الحرم حدثًا من سفك دم أو استحلال محرم فلا تقبل توبته، والعدل: ما يعدله من الفدية)[1], وهاهنا أشار ابن بطال إلى دلالة لم يقلها أحد قبله, وأراه موافقا للصواب يكفينا مؤونة اختيار الأوجه الصائبة وهو يتوافق مع السياق وبعيد عن الأوجه المتكلفة,والاختيار الثاني ما ذكره ابن الأنباري من تفسير النبيﷺ,وهو أحسن الوجوه,لأنَّ النبي ﷺ هو أعلم الناس بلغة العرب, ونظير ذلك ما قاله الكلاباذي:(فَمَنْ حَمَلَهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفِدْيَةِ، فَهُوَ مَعْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ، أَيْ:لَا يَقْبَلُ مِنْهُ تَوْبَةً فِي الْآخِرَةِ، وَلَا فِدْيَةً، أَيْ:لَا يَكُونُ لَهُ فِدْيَةٌ لَا يَجِدُ فِدْيَةً يَفْدِي بِهَا نَفْسَهُ، وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ}[2],أَيْ:لَا يَشْفَعُ لَهَا شَافِعٌ، ثُمَّ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَتُهُ كَذَلِكَ قَوْلُهُﷺ:«لَا يُقْبَلُ مِنْهُ فِدْيَةٌ»، أَيْ: لَيْسَ لَهُ مَا يَفْدِي بِهِ نَفْسَهُ وَتَوْبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ لَا تُقْبَلُ، فَأَمَّا التَّوْبَةُ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ فِي الدُّنْيَا، وَيَمْحُو اللَّهُ تَعَالَى السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ، وَمَنْ قُبِلَتْ حَسَنَتُهُ فَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَهْلِ الْأَدْيَانِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَبِهِ جَاءَ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ,وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالتَّوْبَةِ وَالْفِدْيَةِ فِي الْآخِرَةِ)[3],ومعناها كما أشار إليه القاضي عياض:(وقيل: يكون أيضاً معنى:لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضى، وإن قبلت قبول جزاء؛لأنَّ

---

[1]) شرح صحيح البخاري:ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ), تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد, السعودية، الرياض, الطبعة الثانية، 1423هـ-2003م,:4/541-542.

[2]) سورة البقرة من الآية:123.

[3]) بحر الفوائد:أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (380هـ), المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل, أحمد فريد المزيدي, دار الكتب العلمية, بيروت,الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م:246.

الله لا يظلم عباده مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها, وقيل: قد يكون القبول هنا عبارة عن تكفير تلك السيئة والذنب بها، وقد قال تعالى:{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[1], وتكون معنى الفدية هاهنا: لا يجد في القيامة فِدى يفتدى به بخلاف غيره من المذنبين الذين جاء من تفضل الله على من شاء منهم أن يفديه من النار باليهود والنصارى، ومن شاء من الكفار, وقيل:معنى لعنة الله هنا: يحتمل أن يراد به العذاب الذى يستوجبه على ذنبه، والطرد عن الجنان أولاً، ودخول النار حتى يخرجه الله منها, واللعنة معناها: الإبعاد)[2],ونظير ذلك ما جاء في تعليقه على قولهم:(فلان أُمَّةٌ وَحْدَهُ), قال أبو بكر:(معناه: فلان أوحد في معناه لا يُداخله فيه أحد, قال النبيﷺ:(يُبْعَثُ زيدُ بن عمرو بن نُفيل أُمَّةً وَحْدَهُ)[3]، فمعناه: يبعث منفرداً بدين[4], والأمة تنقسم في كلام العرب على ثمانية أقسام[5] تكون الأمة الجماعة؛ كما قال الله عز وجل:{وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ}[6], معناه: وجد

---

[1]) سورة هود من الآية:114.

[2]) إكمال المعلم:487/4.

[3]) مسند البزار:أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار(292هـ),المحقق: محفوظ الرحمن زين الله،, وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق, مكتبة العلوم والحكم, المدينة المنورة الطبعة الأولى, 2009م,:(1331), ومسند أبي يعلى:أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي(307هـ),المحقق: حسين سليم أسد, دار المأمون للتراث, جدة, الطبعة الثانية، 1410هـ - 1989م,:(7212).

[4]) ينظر: التوضيح شرح الجامع الصحيح:444/20, والإبانة في اللغة العربية: سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري, المحقق:الدكتور عبد الكريم خليفة الدكتور نصرت عبد الرحمن, والدكتور صلاح جرار, والدكتور محمد حسن عواد الدكتور جاسر أبو صفية, وزارة التراث القومي والثقافة, مسقط,الطبعة الأولى, 1420هـ - 1999م,:138/2.

[5]) ينظر: الوجوه والنظائر للعسكري:21-25, واتفاق المباني وافتراق المعاني:سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقيّ الدين الدقيقي المصري(613هـ),المحقق:يحيى عبد الرؤوف جبر, دار عمار, الأردن الطبعة الأولى، 1405هـ -1985م,:234.

[6]) سورة القصص من الآية:23.

عليه جماعة[1]، وقال:{وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}[2], معناه:ولتكن منكم جماعة, أنشد الفراء[3]:

كَأنّما أهلُ حَجْرٍ ينظرونَ متى ... يَرَوْنَني خارجاً طيرٌ يناديد

طيرٌ رأتْ بازياً نَضْحُ الدماءِ به ... أو أُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْواً إلى عِيدِ

معناه:أو جماعة, وتكون الأمة أتباع الأنبياء؛ كما تقول: نحن من أمة محمد: أي من أتباعه على دينه, وتكون الأمة الدين, كما قال عز وجل:{إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}[4], معناه: على دين[5], قال النابغة[6]:

حلفت فلم أتركْ لنفسِكَ رِيبةً ... وهل يأثَمَنْ ذو أُمَّةٍ وهو طائعُ

وتكون الأمة: الرجل الصالح الذي يؤتم به[7]، كما قال عز وجل:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ}[8], وتكون الأمة: الزمان[1] كما قال:{وادَّكَرَ بعدَ أُمَّةٍ}[2]،وكما قال: {وَلَئِنْ

---

[1]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه::139/4,وجامع البيان:206/18, وأمالي القالي:أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون(356ه),عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي, دار الكتب المصرية, القاهرة,الطبعة الثانية 1344هـ - 1926م:301/2.

[2]) سورة آل عمران من الآية:104.

[3]) ينظر: معاني القرآن:أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (207ه)المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة, مصر الطبعة: الأولى,(د.ت),:3/ 41، بلا عزو، وفي القلب والابدال:أبو إسحاق يعقوب ابن السكيت(244ه),طبع كجزء من كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي, سعى في نشره وتعليق حواشيه الدكتور اوغست هفنر معلم اللغات السامية,في كلية فينا المحمية طبع بالمطبعة الكاتوليكيةللاباءاليسوعيين في بيروت, سنة 1903م:, 55, نسب لعطارد بن قران الحنظلي.

[4]) سورة الزخرف من الآية:22.

[5]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه:, وجامع البيان:621/3, وأمالي القالي:301/2.

[6]) ديوانه:(صنعة ابن السكيت):تحقيق الدكتور شكري فيصل,بيروت,1968م,:81.

[7]) فسرهاابْنُ مَسْعُودٍ:(عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: ثني فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيُّ إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا» فَقُلْتُ فِي نَفْسِي:غَلِطَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ} [النحل: 120], فَقَالَ: تَدْرِي مَا الْأُمَّةُ وَمَا الْقَانِتُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: الْأُمَّةُ: الَّذِي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ: الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُعَلِّمُ الْخَيْرَ), جامع البيان:394/14.

[8]) سورة النحل من الآية:121.

{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ}[3],وقرأ ابن عباس:{وادَّكَرَ بعدَ أَمَهٍ}[4], أي: بعد نسيان,وتكون الأمة القامة, يقال:فلان حَسَن الأمةِ،أي:حَسَن القامةِ, قال الشاعر[5]:

وإنَّ معاويةَ الأكرَمِينَ ... حِسانُ الوجوهِ طوالُ الأُمَم

وتكون الأمة: الأم[6], قال أبو بكر: قال الفراء: يقال هذه أُمَّةُ فلانٍ، أي: أُمُّ فلان قال وأنشد[7]:

تَقَبَّلْتَهَا مِنْ أُمَّةٍ لَكَ طَالَمَا... تُنُوزِعَ فِي الْأَسْوَاقِ عَنْهَا خِمَارُهَا

ويكون الأمة المنفرد بالدين, وقد مضى تفسيره, والإمَّة، بكسر الألف:النعمة[8]، قرأ مجاهد وعمر بن عبد العزيز[1]:{إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ}[2],معناه:على نعمة[3]

---

[1]) ينظر: معاني القرآن للأخفش:أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (215هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة, مكتبة الخانجي، القاهرة, الطبعةالأولى، 1411 هـ - 1990 م,:380/1.

[2]) سورة يوسف من الآية:46.

[3]) سورة هود من الآية:8.

[4]) وهي قراءة وابن عمر بخلاف وعكرمة ومجاهد بخلاف عنهما والضحاك وأبي رجاء وقتادة وشُبيل بن عَزْرَة الضُّبْعِي وربيعة بن عمرو وزيد بن علي, ينظر: المحتسب:أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ), وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلاميةالطبعة الأولى, 1420هـ-1999م,:344/1,والبحر المحيط:284/6.

[5]) للأعشى في ديوانه:دار صادر , بيروت,(د.ت),:199.

[6]) قَالَ الْخَلِيلُ:(كُلُّ شَيْءٍ يُضَمُّ إِلَيْهِ مَا سِوَاهُ مِمَّا يَلِيهِ فَإِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي ذَلِكَ الشَّيْءَ أُمًّا, وَمِنْ ذَلِكَ أُمُّ الرَّأْسِ وَهُوَ الدِّمَاغُ. تَقُولُ:أَمَمْتُ فُلَانًا بِالسَّيْفِ وَالْعَصَا أَمًّا:إِذَا ضَرَبْتَهُ ضَرْبَةً تَصِلُ إِلَى الدِّمَاغِ), مقاييس اللغة :مادة: (أم) ينظر:الإبانة في اللغة العربية:139/2,وأمالي القالي:301/2, وشرح الفصيح لابن هشام:أبو عبد الله محمد بن أحمد المشهور بابن هشام اللخميّ(577هـ) دراسة وتحقيق: مهدي عبيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام مركز دائرة الآثار والتراث بغداد، الطبعة الأولى، 1409هـ/1988م,:169.

[7]) ينظر: أمالي القالي:301/2.

[8]) وَذكر أَبُو عَمْرو الشَّيبانِي أَن الْعَرَب تَقول للشَّيْخ إِذا كَانَ بَاقِي القُوة: فلَان بإِمَّةٍ، رَاجع إِلَى الْخَيْر والنّعمة لِأَن بَقَاء قُوته من أعظم النِّعمة, ينظر: تهذيب اللغة: مادة :(أم).

قال عدي بن زيد[4]:

ثم بعدَ الفلاحِ والمُلكِ والإمْمَة... وارثُهُمُ هناكَ القبورُ

وقال زهير[5]:

ألا لا أرى على الحوادثِ باقيا ... ولا خالداً إلاّ الجبالَ الرواسيا

ألا لا أرى ذا إمّةٍ أصبحتْ له... فتتركُهُ الأيامُ وهي كما هِيا

وقال أيضاً[6]:

أَلَمْ تَرَ للنعمانِ كانَ بإمَّةٍ ... من العيشِ لو أنَّ امرءاً كانَ ناجِيا

)[7], وأضاف له الأزهري معان أخر فقال:(والأُمّة:الرجل الْجَامِع للخَيْر,والأُمة:الطَّاعَة, وأُمّة الرَّجُل:

وَجههوقامَتُه,وأُمّةالرَّجل:قَوْمُه...والأُمّة:المُعلِّم)[8],وأضاف أبو حيان معنى آخر فقال:(وَقِيلَ:الْأُمَّةُ الْإِمَامُ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَمَّ يَؤُمُّ)[9],ولكن أمعنا النظر في التحقيق لوجدنا أنَّ أكثر هذه الوجوه ترجع إلى أصل واحد قال ابن قتيبة:(أصل الأمة:الصّنف من الناس والجماعة، كقوله عز وجل:{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}[10]،

---

[1]) وهي قراءة قَتَادَةُ، وَالْجَحْدَرِيُّ, ينظر: البحر المحيط:أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (745هـ)المحقق:صدقي محمد جميل, دار الفكر, بيروت, الطبعة الأولى, 1420هـ:366/9.

[2]) سورة الزخرف من الآية:22.

[3]) وهي قراءة الأشهب العقيلي, ينظر: البحر المحيط:284/6.

[4]) ديوان عدي:تحقيق محمد جبار المعيبد,بغداد,1965م,:89.

[5]) ديوان زهير:اعتنى به: حمدوطماس, دار المعرفة, بيروت, الطبعة الثانية, 1426هـ-2005م,: 77.

[6]) ديوانه:77.

[7]) الزاهر:149/1-151, ورواها أبو علي القالي عن ابن الأنباري, ينظر: أمالي القالي:301/2, وذكرها الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي, ينظر: تهذيب اللغة مادة: (أمّ).

[8]) تهذيب اللغة مادة:(أمّ).

[9]) البحر المحيط:609/6, وينظر: الوجوه والنظائر للعسكري:23.

[10]) سورة البقرة من الآية:213.

أي:صنفا واحدا في الضلال)[1], فالدين أو الملة والجماعة من الناس وأتباع الأنبياء والرجل الصالح والمنفرد والزمان كلها الى معنى الصنف قال أبو حيان:(وَالْأُمَّةُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ مَعَانٍ مِنْهَا: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ يُشَبَّهُ بِهِ الرَّجُلُ الصَّائِمُ، أَوْ الْمَلِكُ، أَوِ الْمُنْفَرِدُ بِطَرِيقَةٍ وَحْدَهُ عَنِ النَّاسِ فَسُمِّيَ أُمَّةً، وَقَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَالْفَرَّاءُ وَابْنُ قُتَيْبَةَ, وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا كَانَ عنده أُمَّةٍ)[2], وَذكر أَبُو عَمْرو الشَّيباني أَن الْعَرَب تَقول للشَّيْخ إِذا كَانَ بَاقِي القُوة: فلَان بإِمّةٍ، رَاجع إِلَى الْخَيْر والنّعمة،لِأَن بَقَاء قُوته من أعظم النِّعمة, قَالَ:وأَصل هَذَا الْبَاب كُله من القَصْد يُقَال : أممت إِلَيْهِ، إِذا قَصدته, فَمَعْنَى الأمّة فِي الدّين، أَن مَقصدهم مقصدٌ وَاحِد,وَمعنى الإمّة فِي النِّعمة؛إِنَّمَا هُوَ الشَّيْء الَّذِي يَقْصده الْخلق ويَطْلُبونه وَمعنى الْأمة فِي الرجُل المُنفرد الَّذِي لَا نَظير لَهُ: أنّ قَصْده مُنفرد من قصد سَائِر النَّاس...فَمن قَالَ: ذُو أمّة، فَمَعْنَاه: ذُو دِين, وَمن قَالَ:ذُو إمّة، فَمَعْنَاه:ذُو نعْمَة أُسديت إِلَيْهِ, قَالَ: وَمعنى الأُمّة:الْقَامَة سَائِر مَقْصَد الْجَسَد, فَلَيْسَ يخرج شَيْء من هَذَا الْبَاب عَن معنى أممت، أَي: قصدت, وَيُقَال: إمامنا هَذَا حَسن الإمّة،أَي: حسن الْقيام بإمامته إِذا صلّى بِنَا)[3], وقال الطبري:(وَأَصْلُ الْأُمَّةِ الْجَمَاعَةُ، تَجْتَمِعُ عَلَى دَيْنٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يُكْتَفَى بِالْخَبَرِ عَنِ الْأُمَّةِ مِنَ الْخَبَرِ عَنِ الدِّينِ لِدِلَالَتِهَا عَلَيْهِ)[4], وعليه يمكن اختصار هذه الوجوه, وإلغاء بعضها فالنعمة بكسر الهمزة فلا علاقة بمعاني الأمة, وذكر هذه الوجوه تكثير لا موجب له في اللغة,لأنَّ الأصل في الكلام أنْ يكون لكل لفظ واحد معنى واحدا, قال أبو هلال العسكري:(وَقَالَ بعض النَّحْوِيين لَا يجوز أَن يدل اللَّفْظ الْوَاحِد على مَعْنيين مُخْتَلفين حَتَّى تُضَاف عَلامَة لكل وَاحِد مِنْهُمَا, فَإِن لم يكن فِيهِ لذَلِك عَلامَة أشكل وألبس على الْمُخَاطب, وَلَيْسَ من الْحِكْمَة وضع الْأَدِلَّة المشكلة إِلَّا أَن يدْفع ذلك ضَرُورَة أو علة وَلَا يَجِيء فِي الْكَلَام غير ذَلِك

---

[1]) تأويل مشكل القرآن:أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(276هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية بيروت, الطبعة الأولى,(د.ت),:248.

[2]) البحر المحيط:609/6.

[3]) تهذيب اللغة: مادة:(أم).

[4]) جامع البيان:621/3.

إِلَّا مَا شَذَّ وَقل وكما لَا يجوز أَن يدل اللَّفْظ الْوَاحِد عَليّ مَعْنيين فَكَذَلِك لَا يجوز أَن يكون اللفظان يدلان على معنى وَاحِد لِأَن فِي ذَلِك تَكْثِير للغة بِمَا لَا فَائِدَة فِيهِ)[1], ومما تجدر الإشارة أن أبا بكر ابن الأنباري ذكر وجها عن الفراء لم أجده عند غيره وهو وجه الأم, والذي يتفق مع أبي عمرو الشيباني أنَّ أصل اللفظ من أمم أي: قصد وتبين لي مما تقدم ذكره أنَّ أبا بكر ابن الأنباري أجاز وقوع المشترك اللفظي في كلام العرب لأنه في كلامهم ما يؤيد ذلك, وجواز وقوعه في القرآن الكريم وهو أفصح الكلام, وهو يرجع في المرتبة الأولى للسياق, فهو العامل الرئيس في تحديد الدلالة المراد فهمها من الكلام,لأنه لا يمكن أن يحتمل اللفظ الواحد كل هذه المعاني في سياق واحد, بل يحتمل لفظا واحدا على نحو ما احتج له ابن الأنباري لكل معنى من المعاني, ويحتمل في بعض المواضع المعاني كلها كما في بيان معاني التحيات فهي بمعنى السلام, وبمعنى الملك, وبمعنى البقاء[2].

الخاتمة

يمكن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها بما يأتي:

1-كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري الكوفي(328هـ) من الكتب المهمة التي غفل عنها الباحثون والدارسون, والذي جمع بين صفحاته مباحث لغوية ونحوية كثيرة, ولاسيما الظواهر اللغوية الدلالية كظاهرة المشترك اللفظي وظاهرة التضاد,وهي من الظواهر اللغوية التي شغلت بال الكثير من اللغويين قديما وحديثا,واختلفوا في جواز وقوعهما في اللغة, ولقد اخترت نماذج قليلة لتعطينا دلالة واضحة وجلية لتلك الظاهرة من الكتاب لهذه الدراسة اليسيرة التي أنارت جوانب مهمة لموقف ابن الأنباري منها في حقل الدراسات اللغوية الدلالية.

---

[1]) الفروق اللغوية:أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو 395هـ), حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم, دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة,(د.ت),:23.

[2]) الزاهر:1/139-140.

2-أبو بكر ابن الأنباري من اللغويين الكوفيين الذين أجازوا وقوع هذه الظاهرة الدلالية المهمة في القرآن الكريم, وفي الحديث النبوي الشريف وفي كلام العرب, وعلى الرغم من أنَّ شيخه أبا العباس ثعلبا قد أنكر وقوعها في القرآن الكريم تبعا لإنكاره وقوعها في كلام العرب, فقد رأى ثعلب أنَّ لكل لفظا معنى مفردًا, فلا يجوز أنْ تشترك عدة ألفاظ مختلفة بمعنى واحد,ولا يجوز أن يحتمل اللفظ الواحد معنيين متضادين, ولا يجوز أن يتساوى لفظان مختلفان ويكون لهما معنى واحدا,فلا يجوز في لغة واحدة, وإنما يجوز في لغتين متباينتين على رأيه وعلى رأي طائفة من اللغويين كابن درستويه وأبي هلال العسكري.

3-ظاهرة المشترك اللفظي من الظواهر الدلالية التي اختلف في جوازها وإنكارها اللغويون, وعلل المنكرون أنه لا يجوز أن يكون للفظة الواحدة عدة معاني في سياق واحد, وإنما يكون لها دلالة واحدة, ولا يجوز أن تحتمل المعاني كلها, وإن كان يبدو لي أنَّ أبا بكر ابن الأنباري قد أجازها في بعض المواضع.

4-بعض اللغويين الذين أنكروا المشترك اللفظي بحجة أن الألفاظ المشتركة تعود لمعنى واحد, وهذا ينفي تعدد دلالتها في السياقات المتعددة, وهذا ما أراه صائبا وكذلك أنفي بعض المعاني التي ذكرها التي لا تمت بصلة للفظ المشترك, وإنما هي من الترف اللغوي, وإنما ممكن ردها الى معنى واحد كلفظ الأمة,فهي تدل على الاجتماع على وجه التشبيه مثل تشبيه الرجل الصالح الوحيد في زمانه, أو المعلم للخير كسيدنا إبراهيم عليه السلام وتشبيهه بالأمة, كتشبيه عمرو بن نفيل, فلم يكن من معاني الأمة إلا على وجه التشبيه.

المصادر والمراجع

-الإبانة في اللغة:سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري, المحقق:الدكتور عبد الكريم خليفة الدكتور نصرت عبد الرحمن, والدكتور صلاح جرار, والدكتور محمد حسن

عواد الدكتور جاسر أبو صفية, وزارة التراث القومي والثقافة, مسقط,الطبعة الأولى, 1420هـ - 1999م.

- اتفاق المباني وافتراق المعاني:سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقيّ الدين الدقيقي المصري(613هـ),المحقق:يحيى عبد الرؤوف جبر, دار عمار, الأردن الطبعة الأولى، 1405هـ -1985م.

-الأضداد:أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ(328هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى,2006م/ 1427هـ

- إكمال الإعلام بتثليث الكلام:محمد بن عبد الله ابن مالكأبو عبد الله (672هـ),المحقق:سعد بن حمدان الغامدي, جامعة أم القرى مكة المكرمة, الطبعة الأولى، 1404هـ- 1984م.

-الألفاظ:ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق(244هـ),المحقق: الدكتور فخر الدين قباوة, مكتبة لبنان ناشرون, بيروت,الطبعة الأولى، 1998م.

-أمالي القالي:أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون(356هـ),عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي دار الكتب المصرية, القاهرة,الطبعة الثانية 1344هـ - 1926م.

-البحر المحيط:أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (745هـ)المحقق:صدقي محمد جميل, دار الفكر, بيروت, الطبعة الأولى, 1420هـ

- بحر الفوائد:أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي(380هـ),المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل,وأحمد فريد المزيدي, دار الكتب العلمية, بيروتالطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.

-تأويل مشكل القرآن:أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(276هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية، بيروت, الطبعة الأولى,(د.ت).

-تهذيب اللغة:محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور(370هـ) المحقق: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي, بيروت, الطبعة الأولى، 2001م.

- التوضيح شرح الجامع الصحيح:ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصريّ(804ه)المحقق:دار الفلاح للبحث العلمي, ودار النوادر دمشق, الطبعة الأولى, 1429ه/ 2008م.

-جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري(310ه), تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار هجر, الرياض,الطبعة الأولى، 1422 ه - 2001م.

-جامع معمر بن راشد:معمر بن أبي عمرو راشد الأزديأبو عروة البصري (153ه)المحقق:حبيب الرحمن الأعظمي,المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت,الطبعة الثانية، 1403 ه.

-دراسات في فقه اللغة:الدكتور صبحي إبراهيم الصالح (1407ه) دار العلم للملايين, الطبعة الأولى 1379ه - 1960م.

- دليل الفالحين لطرق الصالحين:محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم الصديقي(1057ه),اعتنى بها: خليل مأمون شيحا, دار المعرفة للطباعة، بيروت,الطبعة الرابعة 1425 ه - 2004م.

-ديوان الأخطل:اعتنىبه:عبد الرحمن المصطاوي, دار المعرفة, بيروت الطبعة الثالثة,1429ه-2008م.

-ديوان الأعشى:دار صادر , بيروت,(د.ت).

-ديوان زهير: اعتنى به: حمدوطماس, دار المعرفة, بيروت, الطبعة الثانية, 1426ه-2005م.

-ديوان العجاج:شرح الأصمعي, تحقيق:الدكتور عزة حسن, بيروت,1971م.

-ديوان عدي بن زيد:تحقيق محمد جبار المعيبد,بغداد,1965م.

-ديوان لبيد بن ربيعة: تحقيق الدكتور احسان عباس,الكويت,1962م.

-ديوان النابغة الذبياني(صنعة ابن السكيت):تحقيق الدكتور شكري فيصل,بيروت,1968م.

-الزاهر في معاني كلمات الناس:محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري(328هـ),المحقق: الدكتور حاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة, بيروت,الطبعة الأولى، 1412 هـ -1992م.

-السنن الكبرى:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي(458هـ)المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي, دار الخلفاء للكتاب الإسلامي, الكويت,(د.ت).

- شرح ديوان الحماسة:أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (421هـ)المحقق:غريد الشيخ, دار الكتب العلمية، بيروت, الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

-شرح صحيح البخاري: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ), تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم, مكتبة الرشد, السعودية، الرياض,الطبعة الثانية، 1423هـ- 2003م.

-شرح صحيح مسلم:أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (676هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت, الطبعة الثانية، 1392هـ.

-شرح الفصيح: أبو عبد الله محمد بن أحمد المشهور بابن هشام اللخميّ(577هـ) دراسة وتحقيق: مهدي عبيد جاسم، وزارة الثقافة والإعلام مركز دائرة الآثار والتراث بغداد، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1988م.

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات:أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري(328هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار المعارف, القاهرة, الطبعة الخامسة,(د.ت).

-شرح مسند الشافعي:عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم أبو القاسم الرافعيّ القزوينيّ الشافعيّ(623هـ)تحقيق: وائل محمد بكر زهران, دار النوادر, دمشق, الطبعة الثانية,1432هـ/2011م.

-شرح مشكاة المصابيح:شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ),المحقق:الدكتور عبد الحميد هنداوي, مكتبة نزار مصطفى الباز ,مكة المكرمة,الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

-شعر النابغة الجعدي:المكتب الاسلامي, دمشق, 1964م.
-العين:أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(170ه),المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال بيروت, (د.ت).
-غريب الحديث:أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي (224ه)المحقق:الدكتورمحمد عبد المعيد خان, مطبعة دائرة المعارف العثمانية،حيدر آباد الدكن, الطبعة الأولى، 1384ه - 1964م.
-غريب الحديث:جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597ه),المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي, دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، 1405ه – 1985م.
-غريب الحديث:أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276ه)المحقق:الدكتور عبد الله الجبوري, مطبعة العاني, بغداد, الطبعة الأولى، 1397م.
-الغريبين:أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي(401 ه),تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي,مكتبة نزار مصطفى الباز, المملكة العربية السعودية, مكةالمكرمة,الطبعة الأولى 1419ه - 1999م.
- فتح الباري شرح صحيح الباري: الإمام الحافظ حجر العسقلانيّ(852ه),رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي,دار المعرفة, بيروت، 1379ه.
-الفروق اللغوية:أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو 395ه), حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم, دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة,(د.ت).
-القلب والإبدال:أبو إسحاق يعقوب ابن السكيت(244ه),طبع كجزء من كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي, سعى في نشره وتعليق حواشيه الدكتور اوغست هفنر معلم اللغات السامية,في كلية فينا المحمية طبع بالمطبعة الكاتوليكيةللاباءاليسوعيين في بيروت - سنة 1903م.

-كشف المشكل على الصحيحين:جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ)المحقق: علي حسين البواب, دار الوطن – الرياض,(د.ت).
-القلب والإبدال:ابن السكيت,طبع كجزء من كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي, سعى في نشره وتعليق حواشيه الدكتور اوغست هفنر معلم اللغات السامية,في كلية فينا المحمية طبع بالمطبعة الكاتوليكيةللاباءاليسوعيين في بيروت - سنة 1903م.
- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري:الإماممحمد بن يوسف بن علي ابن سعيد شمس الدين الكرمانيّ(786هـ),دار إحياء التراث العربي بيروت, الطبعة الثانية 1401هـ/ 1981م.
- الكوثر الجاري لرياض أحاديث صحيح البخاري: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانيّ الحنفيّ(893 هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية,دار إحياء التراث العربي بيروت, الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.
- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح:شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الدائم النعيميّ (831 هـ),تحقيق: لجنة مختصة من المحققين, دار النوادر, دمشق, الطبعة الأولى 1433هـ/ 2012م.
-مجاز القرآن:أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (209هـ), المحقق: محمد فواد سزگين,مكتبةالخانجى, القاهرة,الطبعة الأولى, 1381هـ
-المحتسب:أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ), وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية,القاهرة, الطبعة الأولى, 1420هـ- 1999م.
-مسند أبي يعلى:أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي(307هـ),المحقق: حسين سليم أسد, دار المأمون للتراث, جدة, الطبعة الثانية، 1410هـ - 1989م.
- مسند البزار(البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار(292هـ),المحقق: محفوظ الرحمن زين الله،, وعادل بن سعد, وصبري عبد الخالق, مكتبة العلوم والحكم, المدينة المنورة الطبعة الأولى, 2009م.

-المصنف في الأحاديث والآثار:أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (235هـ),المحقق: كمال يوسف الحوت, مكتبة الرشد,الرياض,الطبعة الأولى، 1409م.

-معاني القرآن:أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (215هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة, مكتبة الخانجي، القاهرة,الطبعةالأولى، 1411 هـ - 1990 م.

-معاني القرآن:أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (207هـ)المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة, مصر الطبعة: الأولى,(د.ت).

- معاني القرآن وإعرابه:إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (311هـ)المحقق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب, بيروت, الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988م.

-المعلم بفوائد مسلم:أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي(536هـ), المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر, الدار التونسية للنشر,والمؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر,الطبعة الثانية 1988 م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.

-مقاييس اللغة:أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(395هـ),المحقق : عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, بيروت, 1399هـ - 1979م.

-النهاية في غريب الحديث والأثر:مجدالدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير (606هـ)تحقيق: طاهر أحمد الزاوى, ومحمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية, بيروت, 1399هـ - 1979م.

-الوجوه والنظائر:أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري(395هـ),تحقيق: أحمد السيد دار الكتب العلمية, بيروت, الطبعة الأولى, 2010م.